مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938 م

بقلم
أ/ علي غنابزية
أستاذ مساعد بمعهد الآداب واللغات
المركز الجامعي بالوادي

عرفت حركة التأليف والنشر نشاطا كثيفا في الجزائر في بداية القرن العشرين، بظهور مجموعة من الجرائد، والمجلات في عدة مناطق من الوطن الأسير في يد الاستعمار الفرنسي،ولم تكن منطقة سوف يومئذ بمعزل عن تلك الحركة، بل كانت تتابع باهتمام مختلف الإصدارات وتتفاعل معها وتؤازرها، و تم التفاعل عبر منافذ مختلفة :

أولا : مراسلة الصحف والمجلات في تونس والجزائر، مثل مراسلات صاحب التقويم التي أشار إليها في مؤلفه، والتي راسل بها جريدة النجاح، وجورنال الشهاب على حد قوله. وكذا القصيدة التي أرسلها الشيخ إبراهيم العوامر إلى جريدة البلاغ عام 1929، ومراسلة الأستاذ ميلودي العروسي لجريدة المنار الجزائرية في عدد 8 ماي 1953.

ثانيا : وصول الجرائد والمجلات إلى وادي سوف رغم بعد المسافة، ومن تلك الصحف على سبيل المثال : النجاح، والشهاب، والبصائر، وبعض الصحف التونسية .

ثالثا : مشاركة أبناء وادي سوف خارج المنطقة في تأسيس الجرائد الجزائرية، مثل مشاركة محمد الأمين العمودي في بسكرة وقسنطينة، والشيخ حمزة بوكوشة والشيخ علي بن سعد القماري في الجزائر، وغيرهم من الكتاب في الجرائد الصادرة يومئذ في مختلف أنحاء البلاد .

وقد شهدت بعض المدن ميلاد جرائد دورية كان مؤسسوها أبناء سوف الذين اضطرتهم الظروف إلى الهجرة خارج المنطقة والاستقرار في المناطق الشمالية التلية، ومن تلك الجرائد :الدفاع، والليالي، والمغرب العربي.

وإن الدراسة التي نقدمها بين يدي القارئ الكريم، هي مجرد رصد وتعريف بأهم المنابر الإعلامية السابقة الذكر، وهي مبادرة أولى، تضع أرضية، وترسم ملامح الإستراتيجية المستقبلية للبحث في هذا الميدان الثقافي الهام الذي يخدم ثقافة وادي سوف، ويساهم في إزاحة اللثام عن تاريخها المجهول، ويرسي قواعد لجمع التراث الثقافي الزاخر المبثوث في مختلف الصحف والمجلات الجزائرية والتونسية، وخصوصا المرحلة التاريخية ما بين (1920 ـ 1938) وما بعدها.

الشيخ حمزة بوكوشة والكتابة الصحفية

1) التعريف بالكاتب :

هو الشيخ حمزة شنوف المدعو بوكوشة، ولد بوادي سوف في حدود عام 1907. وقد تلقى المبادئ العلمية الأولى في بسكرة ثم انتقل إلى جامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1930 بشهادة التطويع، وكان عضوا مؤسسا لجمعية العلماء، واشتهر بنشاطه الحثيث في صفوفها، معلما في مدارسها، وكاتبا في صحافتها، وتقلد عدة مناصب في نطاق الجمعية داخل البلاد وخارجها، وعمل بعد الاستقلال في التعليم والقضاء، وظل في نشاطه الفكري مجاهدا بقلمه إلى أن توفي يوم الجمعة 16 نوفمبر 1994 .

2) نشاطه الصحفي :

امتلك الشيخ قلما فياضا دبج به مقالات أدبية نقدية قيمة، ومواضيع سياسية جريئة، أثار بها الفكر ونور بها العقل منذ الثلاثينات.

فكان يكتب في جريدة "الشهاب" (1934 ـ 1935) ومما قاله في مقال له تحت عنوان " المرأة والإصلاح " في العدد الثامن بتاريخ 16 ـ 03 ـ 1934 ما يلي:" لم نر من بين دعاة الإصلاح بالقطر الجزائري من أعارها جانبا من الالتفات سوى فريق كتبوا في الصحف الفرنسية، وضربوا على الوتر الذي ضرب عليه إباحيو الشرق تقليدا لأوربا".

وكتب كثيرا في جريدة البصائر، وهي لسان حال جمعية العلماء، في سلسلتها الأولى (1935 ـ 1939)، وكانت فصولا تتحدث عن الأدب وقضاياه

ضمن ركن شؤون وشجون[1].

فكان ناقدا جريئا لا يبالي في ذكر رأيه مهما كان الموقف، وعلى سبيل المثال مقاله في البصائر، في العدد 15 بتاريخ 17 أفريل 1936 تحت عنوان: "على من نعول في توحيد المسلمين" يقول فيه: "منذ تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأنا أتتبع خطاها باستقراء لا مزيد عليه معجبا بثبات رجالها البررة الذين أنكروا الذات وهجروا اللذات في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة وصمدوا للزوابع والعواصف التي يثيرها عليهم المعتدون من حين إلى آخر، وكنت شديد الإعجاب بالصحف التي تصدرها الجمعية تلك الصحف التي كانت تتساقط في ميدان الكفاح تساقط أوراق الخريف أمام الرياح... كنت أطالع تلك الصحف التي هي لسان الجمعية ...فيلوح لي فيها ما يستوجب لاذع الانتقاد كإمضاء (الفتى القبائلي) و(الفتى الزواوي) تلك الإمضاءات التي تبعث كامن العنصريات وتذكي نار التفرقة التي أخمدها الإسلام فأعرض متغاضيا ومستعذرا للممضين ..وأخيرا صدرت جريدة البصائر الغراء فتغلب يأسي على رجائي بعدما حاكى تلك الإمضاءات رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأستاذ سيدي (عبد الحميد بن باديس) والشيخ (عبد الحميد بن باديس) شخصية بارزة لها مكانتها في العالم الإسلامي.

كتب هذا الأستاذ أبقاه الله مقالا في العدد الثالث من البصائر تحت عنوان : " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان ..." بإمضاء (عبد الحميد بن باديس الصنهاجي ـ هكذا) فتعجبت من هذا المقال الذي لا يتلاءم العنوان فيه والإمضاء..."[2]

وقد رد عليه (الفتى الزواوي) وهو الشيخ باعزيز بن عمر في البصائر العدد 17 بتاريخ 1 ماي 1936 قائلا: " ...الفتى الزواوي والفتى القبائلي وأستاذهما الصنهاجي قد خلت أذهانهم مما تخيلت ومن كل ما حشرت به ذهنك حين كانوا يمضون بهذه الإمضاءات التي فهمت منها ما لا تؤديه، واكتفيت بقراءتها عن قراءة ما فوقها مما يكتبه أصحابها عن منطق سليم وتفكير طاهر، ومعاذ الله، أن تجري أقلامهم بما لا يرضي الإسلام. "

وقد انتهت تلك المقالات في البصائر بمقال كتبه الشيخ حمزة في ركن (المنبر الحر) باسم (طالب بجامع الزيتونة : حر الفكر لم يقرأ بالجامع

الأخضر ولا الأحمر) والمقال بعنوان " أقر الخصم وارتفع النزاع" ولم يكن يومها في جامع الزيتونة، ولكن كان يوقع بتلك الصفة للتمويه فقط.[3]

وكتب في جريدة البصائر "السلسلة الثانية"يقول الأستاذ: محمد الصالح رمضان " كما اشتغل حمزة كثيرا في إدارة تحرير جريدة (البصائر) لجمعية العلماء مع توفيق المدني وباعزيز بن عمر وأحمد سحنون، وكان يواصل الكتابة في هذه الصحف وفي غيرها".[4]

أما في سنة 1947 فعيّن في هيئة التحرير لجريدة البصائر الثانية: وقد كانت البصائر أشهر منبر عرف كتابات الشيخ قبل الاستقلال.

وفي سنة 1936 ساهم بمعية الشيخ علي بن سعد القماري في تأسيس جريدة الليالي وكان من محرريها البارزين.

وبعد الاستقلال: لم يتوقف الشيخ عن كتابة مقالات تاريخية تهذيبية، وتسجيل مواقف تتطلبها الحياة الثقافية وخاصة على صفحات جريدة الشعب أو مجلة الثقافة.

3) **الشيخ حمزة بوكوشة وجريدة ـ المغرب العربي ـ :**

وفي عام 1937 طلب منه الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يذهب إلى وهران ليشرف على تحرير جريدة المغرب العربي، وفعلا استجاب للنداء وأشرف على إدارة تحريرها خلال مدة صدورها في تلك السنة.[5]

ـ **جريدة " المغرب العربي "**: وهي جريدة أسبوعية ظهرت في مدينة وهران في شهر ماي 1937، حيث أقامت مطبعة خاصة بها، وكان يديرها ويحرر أغلب فصولها الشيخ " حمزة بوكوشة " أما صاحب امتيازها فهو " بلة محمود "، وتقع في أربع صفحات من الحجم العادي وهي لسان حال الشباب المسلم.

ـ **خطها السياسي وموقف الاستعمار منها**: وكانت خطة الجريدة إصلاحية وطنية، تقاوم الفساد الإداري، والاجتماعي، وتهاجم بصفة خاصة " القياد " و" الباشغوات " والنواب الذين يعملون ضد مصلحة الأهالي، ويبدو أنها كانت تستعمل لمخاطبتها لهم أسلوبا حارا مما أثار حقد السلطة ضد الجريدة فمنعت عنها " رخصة التوزيع بالبريد "، واضطر ذلك صاحبها للاستعانة بالشباب الإصلاحي لتوزيعها في أمهات المدن، فكان يبعث بها إلى العاصمة ثم توزع منها إلى باقي المدن الأخرى، ويبادل بها الصحف العربية الكبرى في كل من: مصر وتونس والمغرب رغم هذه المضايقة التي كانت تعانيها من طرف الاستعمار.

ويبدو أن تأثيرها في الأوساط كان شديدا مما جعل عامل عمالة مدينة وهران يستدعي رئيس تحريرها (الشيخ حمزة بوكوشة) ويوجه إليه تهديدا بتعطيل الجريدة إن هي استمرت في ملاحقة الحكام المحليين.

فما كان من الشيخ حمزة بكوشة إلا أن نشر في فصل خاص من الجريدة تلك المحادثة التي جرت بينه وبين ذلك الكاتب تحت عنوان " إلى من نشتكي عنت الليالي" وهو تعريض واضح بالظلم، والتعسف، فما كان من الإدارة الاستعمارية إلا أن ضايقت صاحب الامتياز الممول الوحيد للجريدة، فتوقفت عن الصدور في أواخر سنة 1937 بعد أن صدر منها حوالي خمسة أعداد.

وكان من المشاركين في تحريرها الأستاذ :علي مرحوم، والشاعر جلواح العباسي . وكانت تنشر في صفحتها الأخيرة مقتطفات عن الأدب الأندلسي، وخاصة عن ابن عمار الأندلسي،تملأ بذلك الفراغ المتبقى في صفحتها الأخيرة.(6)

الشيخ : علي بن سعد وجريدته " الليالي "

1) تعريف بالكاتب :

هو الشيخ خرن علي بن سعد القماري، ولد سنة 1908 بقمار، ونال شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1932، وقد لبّى دعوة جمعية العلماء ودرّس في مدارسها، كما اعتقل سنة 1938 مع الشيخ عبد العزيز الشريف وسجن في قسنطينة، وبعد الاستقلال اشتغل مدرسا بالثانوية فلفض أنفاسه فيها سنة 1974.(7)

2) جريدته " الليالي " وموقف الاستعمار منها :

أصدر الشيخ علي بن سعد بالعاصمة الجزائرية جريدة " الليالي" في شهر فيفري 1936، وكان هو مديرها ورئيس تحريرها، وهي تقع في أربع صفحات من الحجم المتوسط (38×28سم).

وجاء في التعريف بها ما يلي " نشرة فكاهية، انتقادية، أدبية، تصدر مرتين في الشهر " وكانت تحمل تحت عنوانها هذا البيت: " الليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبة "

والواقع أن الشيخ " حمزة بوكوشة " كان ممن أعان في تأسيسها وتحريرها، وإن لم يذكر اسمه على صدر الصفحة الأولى من الجريدة.

وقد سعى الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ علي بن سعد أن يكون صاحب

امتيازها هو جوكلاري محمد الشريف، محتمين تحت جنسيته وضمان نزعته الإصلاحية الوطنية. وكانت تطبع بالمطبعة المركزية بالعاصمة في شارع قسنطينة عدد 44 وهي مطبعة صاحبها فرنسي " لأنه سهل على أصحاب الجريدة الدفع في ثمن الطبع".

والمطلع على محتويات جريدة " الليالي" يعجب بنزعتها الاصلاحية الوطنية، وأسلوب تحريرها الأدبي الجميل، فقد كان المحررون بها كتّاب عرفوا بتحريراتهم العذبة من أمثال محمد السعيد الزاهري، والشيخ حمزة بوكوشة، والشاعران الطاهر بوشوشي ومفدي زكرياء.(8)

خطها السياسي وأهم محاورها : تعددت محاور الجريدة بين الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي، وكانت تنطلق من الفكر الإصلاحي، لكن أسلوبها كان لاذعا ومحرجا للإستعمار، وفيما يلي نحاول رصد أهم هذه المحاور التي تناولتها:

أ) **نقد الأوضاع الداخلية**: وما فيها من فساد إداري واجتماعي، أو انحراف ديني، وهذا جعلها تلاحق مدير الشؤون الأهلية السيد ميو بمقالات تمتاز بأسلوبها التهكمي الصريح، وتمتع القارئ بمسحتها الأدبية الطريفة، ومن ذلك مثلا الفقرات الصادرة تحت عنوان " مَيَوْ، مَيَوْ " وهو تعريض صريح بمدير الشؤون الأهلية وتشبيه له بالقطة بأسلوب غير مباشر.

ب) **التعاون مع الحزب الشيوعي** : في سبيل المصلحة الوطنية أمر تحتمه الظروف، وتفرضه طبيعة المرحلة النضالية في تلك الفترة، وهي تعبر عن نظرة جمعية العلماء السياسية آنذاك.

ج) **تورطها في الخلاف:** الذي كان قائما بين بعض أعضاء جمعية العلماء بمدينة قسنطينة، والدكتور بن جلول زعيم حزب النواب، فمن ضمن محتوياتها البارزة فصول كثيرة تنتقد فيها آراء الدكتور بن جلول وحزبه بطريقة ساخرة في أغلب الأحيان، وهذا ما يؤكد انحيازها الشديد لجمعية العلماء.

د) **المساهمة في معالجة بعض القضايا**: ذات الطابع الاجتماعي كظاهرة التشرد التي يعاني منها أطفال المسلمين، وظاهرة عقم أساليب التعليم في الكتاتيب القرآنية ذات الطريقة العتيقة. ومن تلك الأمثلة المقال الذي كتبه الشيخ حمزة بوكوشة بالاسم المستعار " سهيل " يعرض فيه بأفكار الصوفية المبتدعة والملاحدة معا.

ـ موقف الاستعمار من الليالي :

يظهر من أسلوبها في مخاطبة السلطات الاستعمارية صراحة شديدة، وهو غير الأسلوب الهادئ المعتدل عند أغلب الصحف الإصلاحية الأخرى، فهي عندما طالبت حكومة الجبهة الشعبية بالتعجيل بتحقيق مطالب الأمة الجزائرية كان كلامها قاسيا وشديد الصراحة فتقول في العدد 5 في 10جانفي 1937: " أما الكلمة التي نوجهها للأمة فهي السعي وراء غاية واحدة، وخلف مقصد واحد، ذلك هو إفهام الحكومة أن سياسة التماطل والتسويف لابد لها من حدّ تنتهي عنده، وأما الحكومة فمن اللائق بها في الوقت الحاضر أن تغتنم رضاء الشعب الجزائري الذي كانت له معها حياة طويلة كلها أعمال لفائدة فرنسا، فإذا ضيعت الفرص فإنها ستندم عن قريب، ولات ساعة مندم..."[9]

وتوصل الشيخ علي بن سعد في أحد أعداد جريدته إلى المطالبة باستقلال الجزائر في ذلك الزمن المبكر (1937) فاعتبره الفرنسيون مجنونا(10)، وبدأت السلطات تضيّق الخناق عليها وتضطهدها، وتتصرّف معها تصرفا عنصريا حيث لم تمنحها " رخصة التوزيع بالبريد " فكان الشيخ علي بن سعد مضطرا إلى الإشراف على بيعها بنفسه طورا، وبتوزيع أعدادها على الأطفال ليبيعوها في شوارع العاصمة طورا ثانيا، ويزعم بعض المعاصرين للشيخ والمعايشين له أنه سئل يوما عما ينبغي أن يصيح الأطفال به في الشوارع لإغراء الناس بابتياع الجريدة فقال " يقولون الليالي لا تبالي ".واضطرت الجريدة بعد صدور " عشرين عددا " أن تتوقف عن الصدور في حدود شهر مارس 1937.[11]

الأستاذ: محمد الأمين العمودي والصحافة الوطنية

1) التعريف بالكاتب:

ولد محمد الأمين العمودي بوادي سوف سنة 1890، ودرس بالجامع ثم بالمدرسة الابتدائية الرسمية، ثم سافر إلى قسنطينة حيث تخرج بشهادة في المحاماة والترجمة، وعُيّن كاتبا عاما لجمعية العلماء لمقدرته بالقلمين العربي والفرنسي، وعمل وكيلا شرعيا ما بين بسكرة والعاصمة، وله قلم فياض وأسلوب يجمع بين النقد والفكاهة، شارك به في جلّ الصحف الإصلاحية، وله شعر رقيق تطغى عليه نغمة حزن ويأس من الحياة. اغتالته " اليد الحمراء " في أكتوبر 1957 بالعاصمة.[12]

2) **نشاطه الصحفي:**

مارس الأستاذ محمد الأمين العمودي الكتابة الصحفية منذ شبابه الأول في مختلف الصحف الجزائرية المعربة والمفرنسة في مختلف الأغراض السياسية والاجتماعية والأدبية، مغتنما الظروف والمواقف، معلقا عليها أو مثيرا لها، وقد كتب العمودي في الصحف التالية:

ـ **في " النجاح " في عددها الأول**:[13] وهي الجريدة التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي في سنة 1919، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس من المساعدين في تأسيسها.[14]

ـ **وكتب في جريدة " الإقدام "**: للأمير خالد " بالعربية والفرنسية "[15]، والتي صدرت عام 1919 والتي تدافع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال أفريقيا.

ـ **وكتب في جريدة " الإصلاح "**: التي أصدرها الشيخ الطيب العقبي في بسكرة في 8 سبتمبر 1927 لهدم الخرافات وتنوير الرأي العام وكتب الأمين العمودي في الأعداد (4، 5، 8، 10، 11، 14)، وقد أثار على صفحاتها موضوعا بالغ الحساسية يومئذ، ودعا رجال الإصلاح لمناقشته فكتب مقالا بعنوان " التجنس والتفرنج " ودعا فيه العلماء للبحث فيه، وقد ساند دعوته تلك الشيخ الطيب العقبى، واستحث بعض العلماء منهم الشيخ البشير الإبراهيمي، والميلي، وابن باديس لتتوحد الفتوى في ذلك، ولكن الدعوة أثارت ضجة واسعة، وحركت أقلاما، وهوجم العمودي من طرفين متناقضين جانب المحافظين الجامدين، وجانب المتفرنجين، بل تحامل عليه، على حد تعبيره (العمودي) " قسم من النخبة المتنورة ممن يسميهم البلاغيين"

ـ **وكتب في صدى الصحراء**: التي كان رئيس تحريرها أحمد بن العابد العقبى وتأسست ببسكرة عام 1925، وكان الأمين العمودي من المشاركين في تأسيسها ومن كتابها.[16]

ـ **وكتب في جريدة " الجزائر "** : التي أصدرها السعيد الزاهري سنة 1925.[17]

ـ **وكتب في " المنتقد "**: التي أسسها ابن باديس في جويلية 1925 بقسنطينة.

ـ **وكتب في " الشهاب "**: التي خلفت المنتقد وأصدرها ابن باديس عام 1925.

ـ **وكتب في جريدة " الجحيم "**: كثيرا من المقالات، وهي جريدة تأسست

بقسنطينة سنة 1933 كرد فعل على جريدة " المعيار " المهاجمة لجمعية العلماء. (18)

يقول محمد الصالح رمضان: " ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى أن جريدة " الجحيم " لم تكن تتكلم باسم (جمعية العلماء) إنما كانت باسم من لهم غيرة عليها يدافعون عنها، ولم يكن ابن باديس ولا العقبي والميلي والتبسي راضين عنها، كان على رأس هذه الجريدة الأمين العمودي، والسعيد الزاهري، فرسا الرهان في هذا الميدان، اللذان أظهرا براعة نادرة في ردع الخصوم بالنقد والتجريح نظما ونثرا، في قوالب أدبية مختلفة من نكت ونوادر وقصص وطرائف فيها الجد والهزل والدعابة والسخرية، ويمتزج فيها الخيال والواقع حتى لا تكاد تفرق بينهما.

ـ **وكتب العمودي أيضا**: " في الصحف (جمعية العلماء) الأولى (قبل البصائر) وأخيرا في (الجزائر الجمهورية) الجريدة اليومية التقدمية " Alger Républicain" التي تصدر من العاصمة بالفرنسية، وكان من إمضاءاته العربية المشهورة إمضاء (جساس). (19)

3) **العمودي وجريدته " الدفاع "**:

" ثم أنشأ لنفسه صحيفة بالفرنسية في العاصمة الجزائرية سنة 1934 سماها " الدفاع " la Défense تولّى هو رئاسة تحريرها وجميع شؤونها ومسؤوليتها دامت خمس سنين، اشتهرت جريدته هذه لدى قراء الفرنسية بصدق اللهجة وقوة الحجة في دفاعها عن حقوق المسلمين الجزائريين، وهي الصحيفة الوحيدة التي كانوا يجدون فيها ما يرضي مطامحهم ويلبي رغائبهم يقرأون فيها ما يجهلون عن عروبتهم وإسلامهم، وتاريخ قومهم ومزايا بلادهم، وتدعوهم للتآلف والتكاتف، في وقت كانت بعض الصحف لمواطنين جزائريين تدعو للتجنيس أو للاندماج مثل صحيفة (الصوت الأهلي) La voie Indigène للزناتي المتجنس، ومثل مجلة (صوت العمال) La voie des Humbles للأستاذ العربي طاهرات الإشتراكي على الطريقة الفرنسية (الحزب الاشتراكي الفرنسي)، فكان العمودي يرد عليهما وعلى الصحافة الاستعمارية المتطرفة مثل"La "L'echo d'Alger " "La Dépêche Quotidienne" " Dépêche de Constantine تلك الصحف اليومية الفرنسية الواسعة وتعرض للمضايقات والسجن". (20)

4) وقفة مع أسلوب " محمد الأمين العمودي:

لقد وفق العمودي إلى الكتابة الصحفية الدقيقة والعلمية وكما ذكر الدكتور محمد ناصر " لقد استطاع الأمين العمودي أن يكون في أسلوبه الكتابي قريبا من الخصائص التي ارتآها الدكتور(حمزة) للكتابة الصحافية تمييزا لها عن غيرها من أساليب الخطب والشعر على الرغم من كونه شاعرا هو الآخر".

ومن أهم خصائص أسلوبه:-

1 ـ إدراكه العميق لخصائص المقالة الصحفية: كما يقول الدكتور محمد ناصر" وكأني به وقد أدرك إدراكا دقيقا ـ وكان وهذا الشاعر المرهف الإحساس- إن ثمة فروقا جوهرية بين القصيدة والمقالة الصحفية يجب أن يرعاها الكاتب الصحفي أثناء مخاطبته لجمهور القراء." [21]

2 ـ وعيه للطرح الصحفي والتحليل الواقعي: ـ فيرغب في بحث المشاكل الاجتماعية والدينية بصفة أخص من جميع وجوهها دون اعتبار للعواطف ولا خوفا من سخط بعض الناس عليه.[22]

3 ـ الشدة مع خصومه الطرقيين : يصل به الحال إلى التهكم الموجع، والإسفاف في الكلام، وخاصة عند تعقيبه على بعض محرري جريدة (البلاغ) لسان حال الطريقة العليوية، فإنه في هذه الحال لا يتورع أن يمس الأشخاص في أعراضهم، ويتهمهم بالانحراف الخلقي والشذوذ، يرميهم بكل كبيرة". ويوصي زملاءه بالتصدي بقوة للخصوم فكتب في جريدة(البرق) العدد السادس الموافق 1927/04/11 مقالا بعنوان "إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا"، فالبيضاوي هو الاسم المستعار للميلي، والآخر للزاهري.

فيقول العمودي في ذلك:

"...إني أوصيكما بآكد إلحاح وألح تأكيد، بالثبات في العمل والإغلاظ في القول، ومقابلة كل قاس بما هو أقسى منه، وكل مقذع بما هو أقذع، وإن نحمل على الخرافين والأفاكين الحملة العنيفة التي تليق بهم، وأن لا تأخذنا بهم رأفة في الدين " وما كتبه في جريدة الجحيم يغني عن كل حديث في هذا المضمار.[23]

4 ـ علاج القضايا والأمور من أعماقها وإبراز أبعادها: وتحديد كل جوانبها، فقد طرح موضوع السفور والحجاب، وعالجه في جريدة الإصلاح

العدد11 بتاريخ (1930/01/23) بقوله: " والأولى بالذين يطرقون المواضيع الإصلاحية في قطرنا ولهم رغبة عظيمة في تحسين الحالة الاجتماعية عموما، والمرأة خصوصا أن يخصصوا تدبيرهم وتفكيرهم في وضع برنامج تعليم المرأة، وتربيتها على الطريقة الموافقة للدين والأخلاق وما حسن من العوائد، ثم إذا حصل الاتفاق على جميع نقاط البرنامج وظهرت نتائجه وفوائده وصار للمرأة بفضل تنفيذه ونتائجه مكان معتبر ومنزلة رفيعة في الهيئة الاجتماعية، حينئذ لا بأس أن يبحثوا ويفكروا في توسيع دائرة حريتها، وأن ينظروا هل لها في ذلك فائدة حقيقية ؟ وهل تعود تلك الفائدة على المجتمع ؟ وهل ينشأ عنه ضرر مع حصول الفائدة ؟ وهل الضرر أكثر من الفائدة أم العكس ؟

ثم ختم المقال برأيه الخاص في الموضوع قائلا :"..ورغم كوني من القائلين بوجوب توفية المرأة جميع حقوقها بسائر صنوفها، فإنني أبغض السفور وأستحسن الحجاب لأنه عنوان الصيانة والعفاف، ولأنه أكبر معين على تطبيق قاعدة توزيع الوظائف الاجتماعية .[24]

ويبقى أسلوب الأستاذ العمودي، وصحيفته "الدفاع" محل دراسة وفحص، وعلى الباحثين الجادين أن يتناولوا ذلك الفكر الهام في ذلك الزمن الصعب.

الشيخ: الساسي معامير والتقويم الجزائري

1) التعريف بالكاتب:

هو الشيخ معامير محمد الساسي من مواليد 1880 بالزقم، شيخ علم، ورحالة، ومؤرخ تعرض لبعض الأحاديث المحلية كما سجل في رحلاته كثيرا من الأحداث الهامة في تاريخ الجزائر، وترك الكثير من المخطوطات، وقد طبع في حياته بعض الأعمال منها "مشاهداتي بالجزائر" و"مشاهداتي بقسنطينة" و"التقويم الجزائري" .تولى الشيخ تحفيظ القرآن الكريم بمسجد الشيخ العدواني في الأربعينات، وكان من بين القلائل الذين أعلنوا الحرب الشعواء على البدع والخرافات والفساد في البلدة، واتبع الشيخ نهج السلفية في سلوكه، أتقن رواية ودراسة وتجويد القرآن، وتوفي بالزقم عام 1967.[25]

2) وصف عام لمؤلف " التقويم الجزائري " :

" التقويم الجزايْري " العام لسنتي 1345 – 1227.

(تأليف) محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي الزقيمي السوفي

الجزائري نشر المكتبة التونسية: سليمان الحمّار وابنه الجيلاني ـ تونس...الخ بهذه المعلومات صدر هذا المؤلف في غلافه الخارجي.

والظاهر أن المؤلف أراد بعمله هذا أن يكون سنويا يشتمل زخما من المعلومات التي يراها ضرورية حسب الاهتمامات التي كانت يومذاك رائجة عند الناس. وفي تقديمه لمشروعه بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه شرع في الحديث عن عمله بقوله: ـ " أما بعد لما رأيت التقاويم عمت الممالك والأمصار، وصار لها شان يذكر عند ذوي التجلة والاعتبار ما خلا جزايرنا التي لها القسط الوافر من الحضارة والرقي، إلى عهد ليس ببعيد كان لها سيت وسيطرة على من ناواها من كل جبار ومتمرد شقي، فلم يكن بها نشرة سنوية تشمل بين جوانحها طريفها والتليد. مع منتخبات تتضمن أخبار القديم والعصر الجديد، حتى يكون بنيها على علم من ماضيهم الزاهر وحاضرهم المفعم بحالك الظلام والسواد ".[26]

وبعد أن بين الأهمية لمؤلفه الإعلامي، وجه الكلام لذوي البر والإحسان علهم يتكفلوا بهذا المشروع ويدعموه فقال:- " وكان الواجب يقضي على من يدعي الوطنية وكامل الاعزاز أن يتكفل بالقيام بهذا المشروع أو بإعانته بما يتكرم به ويجيز، ولا يجحد فضل هذه المادة إلا معاند ومكابر، ولا دراية له بهذا الفن الذي يجل ويشكر " وفي آخر التقديم ذكر أنه أقدم على العمل بنفسه، مستسمحا القراء عن كل نقص وان يصوبوه ويعينوه قائلا:-

" لهذا أردت التطفل على الدخول لهذا الميدان، وان كانت بضاعتي قاصرة أيها الإخوان ذوي العرفان، والرجاء من قرايه وحلفاء الفضل والأدب أن يقضوا الطرف عن نقص ما شاهدوه منا في هذا الباب، بل يرشدونا إلى مواقع النقص والخراب، لنتدارك ذلك طبق إرشاداتهم التي تلذ وتستطاب.

ونسأل الله أن يبلّغنا الأمل والمنى، إلى إسعاد هذا القطر الذي لا زال يرزح في زوايا الخمول والجهل والعناء."[27]

3) أهم محاور التقويم:-

احتوى هذا المؤلف الإعلامي على عدة محاور يمكن تحديدها فيما يلي:

1) القسم الفلكي: يتحدث فيه عن السنوات العربية والقبطية والإفرنجية.

2) القسم الصحي: يتحدث فيه عن قواعد علم الصحة ـ الطب ـ الطفل ووقايته والطعام ـ الماء والصحة ـ وحفظ الصحة ـ النوم والصحة ـ الرياضة وفائدتها للمجتمع.

3) علم الزراعة والفلاحة وفضلها وترقيتها ـ علم النبات ـ أعضاء التغذية.

4) فصل في الصناعة: ويورد فيها مقالات لمفكرين مثل محمد عبده.

5) فصل في التجارة: وفضلها وفضل التاجر الصدوق وارتقاء أوربا وأمريكا بالشركات.

6) فصل في الاقتصاد والنهضة الاقتصادية والاقتصاد السياسي ـ والمحاصيل.

7) فصل في الآثار القديمة والمتاحف ومحفوظاتها والصور والتماثيل والآثار المحمدية المباركة وأول مكتبة عمومية في الإسلام وتاريخ الحرائق.

8) فصل في العلم والاجتماع وتطوراتهما.

ـ أما القسم الذي أطلق عليه اسم " القسم الجزائري" : فركز فيه على الجوانب التاريخية، بالحديث عن سكان شمال أفريقيا (البربر وأصلهم) والعرب والفتوح والدول التي تعاقبت على الجزائر إلى الدولة التركية وسقوطها واحتلال فرنسا للجزائر. وتحدث عن النظام الاستعماري وجغرافية الجزائر.

ـ وقسم آخر تحدث فيه عن " دائرة وادي سوف " بشكل موجز .

4) **تقييم " التقويم " وأسلوب مؤلفه:ـ**

لهذا التقويم أهميته التاريخية المعتبرة باعتبار الفترة التي ألّف فيها، لأنه يعبر عن صدق صاحبه وعزيمته القوية التي مكّنته من تأليفه، ويمكن إبداء الملاحظات الأولية التالية:

أ) أن هذا المؤلف (الإعلامي) كان في نية المؤلف أن يخرجه في كل سنة، ولكن الظروف الاجتماعية والمادية حالت دون ذلك.

ب) اعتمد فيه المؤلف على جمع معارف متنوعة اقتبسها من مجلات وجرائد شرقية (مصر) ومغربية من " تونس " والجزائر.

ج) تعرض فيه إلى قضايا هامة مثل تاريخ الجزائر وذكر الاستعمار ونظامه وبعض الأحداث الخاصة بالمجتمع السوفي.

د) انتقد فيه العلماء الذين لم يستجيبوا لدعوته ولم يساعدوه في إنجاز عمله وقد خصص في آخر كتابه حديثا وجهه إلى كتاب الجزائر وعلمائها

ينتقدهم لأنهم يظنون أنهم وحدهم القادرين على الإنتاج، وكيف أنهم يحتقرون أهل الجنوب الصحراوي ويقول لهم يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

هـ) يوجه انتقادات للجزائر المتداولة يومذاك ومنها جريدة النجاح يلومها أنها لم تنشر له ما يرسل إليها ما عدا الإشهار لتقويمه. كما انتقد جريدة الشهاب لعدم النشر.

الخاتمة

اتضح مما سبق أنّ منطقة سوف زاخرة بالأقلام الصحفية، ولها المقدرة الكافية على أن تتبوأ المكانة اللائقة بها، ولكن العمل الإعلامي الصحفي المنطلق من تراب المنطقة، بقي ضعيفا أو منعدما وذلك راجع لعدة أسباب:

أولها : التضييق الاستعماري وانتشار الحكم العسكري الخانق للأنفاس، والمانع لحرية الكلمة، مما دفع أبناء المنطقة إلى تفجير طاقاتهم، ووجدوا متنفسا لبث أفكارهم خارج تراب سوف، عبر الصحف والجرائد والمجلات.

ثانيها: طبيعة السكان وإقبالهم على الاستثمار في الجانب المادي المحض بسبب الربح الفوري، والفائدة الملموسة، فكانت النظرة المادية مسيطرة على الناس، مما جعل المثقف يفتقد من يؤازره ماديا وعجز عن إصدار صحف خاصة بالمنطقة، وحتى الذين أصدروا صحفا في فترة الدراسة كان يؤازرهم ويدعم مشاريعهم ممولين وأصحاب امتياز.

ثالثها: عدم تشجيع المبادرات، وقد نبّه لذلك صاحب " التقويم الجزائري "، الذي وجه نداءات لمساعدته أو الاشتراك فقط، وحتى الذين كلفهم من أبناء المنطقة بجمع المال تهاونوا في ذلك، وأحدهم استحوذ على الأموال لنفسه.

رابعها: قساوة الطبيعة وصعوبة المعيشة، وعدم الاحتكاك الواسع للسكان لم يشجع على توسيع دائرة الإقبال على الصحف، إلا عند الفئة المثقفة، وهي فئة محدودة قياسا بعدد السكان الذين كانوا يقضون جل وقتهم، وأغلب نهارهم في العمل داخل " الغيطان "، لرعاية نخيلهم وحرثهم، ولا وقت لهم للإطلاع على الصحف أو التفكير في اقتنائها أو الإنفاق عليها أو قراءتها عندما تتوفر لهم بسهولة في بعض الأحيان.

ومجمل القول : أن الفرد السوفي المثقف كانت له مساهمات علمية بارزة وكتابات صحفية ثابتة، وساهم البعض في عملية بعث وإصدار صحف ساهمت في الحركة الثقافية في زمن عزّ فيه الكلام، وندر الكتّاب، وقل المفكرون، فكان أبناء سوف بجهودهم المتواضعة يؤازرون إخوانهم في مختلف أنحاء البلاد، لأنهم أدركوا أن الوحدة الفكرية والثقافية، والواجب المقدس يحتم خدمة الأهل والوطن في مختلف أنحائه، في الشمال والجنوب على حد سواء، إرضاء لله وابتغاء الثواب منه وحده لا شريك له.

الهوامش :

(1) علي غنابزية – العلاّمة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة – مسيرة إصلاح – جريدة النبأ. – العدد 184 – الجزائر – (جانفي 1995) – ص 24.

(2) د/ عمر بن قينة – صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1993 – ص 381 – 382.

(3) نفسه – ص 376 – 382.

(4) محمد الصالح رمضان – حمزة بوكوشة العالم المصلح – في – مجلة الثقافة – العدد 105 – 106 – الجزائر – 1995 – ص 105 – 106.

(5) علي غنابزية – المرجع السابق – ص 24.

(6) د/ محمد ناصر – الصحف العربية الجزائرية من 1847 – 1939 – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1980 – ص 206 – 207.

(7) د/ عمار هلال – أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1962) – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1995 – ص 346. الشيخ الطاهر اتليلي – مجموع ذكرت فيه ما عثرت عليه من تراجم بعض علماء قمار – (مخ) يوجد في مكتبة صاحبه المنزلية.

(8) محمد ناصر – المرجع السابق – ص 198 – 199.

(9) نفسه – ص 199 – 201.

(10) د/ عبد الملك مرتاض – المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1983 – ص 14.

(11) د/ محمد ناصر – المرجع السابق – ص 203 – 204.

(12) د/ محمد ناصر – المقالة الصحفية الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1978 – ج2 – ص 232.

(13) محمد الصالح رمضان– الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته – في – مجلة الثقافة – العدد 43 – الجزائر – 1978 – ص 18.

(14) د/ محمد ناصر – الصحف العربية الجزائرية – المرجع السابق – ص 43.

(15) محمد الصالح رمضان– المرجع السابق – ص 16.

(16) د/ محمد ناصر – المرجع السابق – ص 85 – 90 – 62 .

(17) أحمد بن ذياب – جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي – في – مجلة الثقافة – العدد 86 – الجزائر – 1985 – ص 226.

(18) د/ محمد ناصر – المرجع السابق – ص 52 – 58 – 133.

(19) محمد الصالح رمضان – المرجع السابق – ص 18.

(20) نفسه – ص 19.

(21) محمد ناصر – المقالة الصحفية الجزائرية – ج1 – ص 266.

(22) نفسه – ص 171 – 172.

(23) نفسه – ص 131 – 134.

(24) نفسه – ص 254 – 255.

(25) سيشي محمد المولدي – مقتطفات من تاريخ بني عدوان وعمارة سوف – في – مدونة الندوة الفكرية الأولى للشيخ العلاّمة محمد العدواني – تنظيم الجمعية الثقافية للشهيد عمر عزوز بالمركز الثقافي بالزقم – من 30 / 12 1996 إلى 01 / 07 / 1997. ص 22.

(26) محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي – التقويم الجزائري – المكتبة التونسية – 1927.ص03 .

(27) نفسه – ص 03.